

شيرى فلاوين

CHERY FULWIN

داود الفريح

شيري فلاوين

CHERY FULWIN

يوميات سائق تكسي

٢٠٢٥

**إننا بطبيعة الحال نميل نحو الأشخاص الذين يفهموننا،
وفي الحقيقة ليس هنالك من يفهمنا على الإطلاق بعد أن
نميل نحوهم ...**

المؤلف

إهداء

إلي الذين يعتقدون
أنهم يفهمونا ...

المقدمة

الغربة في الخواتيم !

مجموعة قصصية مغايرة، عناصرها اليومي والمألوف تنتمي الى السرد التقليدي باطار من المفاجأة والاختلاف ما بين انتظار الدهشة، والصدق والتغاير .

قرأت فيها ما يروق لنا نحن الذين نتعطش للمفارقة بإنتظار ما يحصل، وهذا ما يجعل الحكاية تسيطر على مجريات القصص .

الابنية التي اعتمدها داود الفريخ واحدة، سائق وراكب من النادر ان تجد راكبين لأن القاص لا يريد أن يشتت الحكاية مع راكبين إثنين ربما ينشغلان عنه، انه يريد ان يقيم صراعا بين سائق وراكبه الواحد .

هذه النصوص .. نعم نادرة، وهي تقترب من روح الحكاية القصيرة، السرد يبدو سريعا لأنه يركض وراء الحكاية القصة .. ونسأل أين الحكمة ؟

الحبكة في الاستهلال العادي والذي يتحول إلى صدمة وغربة في الخواتيم، خواتيم تكسر أفق توقع القارئ، فيما كان يفكر المتلقي ترى القاص وقد اخذه الى منطقة اخرى، تحمل صدمتها مما يعطي القصة توهجا، صراع بسيط، حتى ان بعضه يكاد ان يكون

شيري فلاوين.....CHERY FULWIN

حالة وجدانية يمر بها السائق (السارد دائما) لنرى في النهاية ضوءا في آخر نفق القصة، ربما يكون مخيبا، مؤلما .

القصص هذه المغلقة النهايات لا يتدخل فيها المتلقي لأنه متقبل للصدمة التي يولدها السارد كي يدهشنا بما حصل له فعلا .. يا للغرابة !.

د. سلمان كاصد

ظنون

مشوار رقم ١

في اليوم الأول الذي قررت فيه أن أعمل كسائق أجرة بسيارتي الصغيرة، التي افترضت ثمنها من والدتي، توجهت نحو ساحة سعد، قاصدًا مرآب بغداد منتظرًا من يستأجرني من المسافرين .

وما إن استدرت بالقرب من بوابة المرآب حتى استوقفني رجل خمسيني، يرتدي زيًا عربيًا، ملامحه لم تكن وديعة، مما جعلني أشعر بتوجس في داخلي .. طلب مني أن أوصله إلى ناحية السبية، الواقعة جنوب مدينة البصرة بحوالي ستين كيلومترًا .

ورغم أن الوقت لم يكن مناسبًا، حيث كانت الساعة تشير إلى التاسعة مساءً، إلا أنني وافقت بسبب قلة العمل وحاجتي للمال لتسديد أقساط السيارة .

طلب مني الرجل أن أفتح صندوق السيارة ليضع حقيبة كبيرة وثقيلة، وأرفق معها أكياسًا بلاستيكية .

شعرت بالقلق والخوف أكثر، حتى ظننت أن هذه الحقيبة قد تحتوي على مواد مخدرة .

انطلقت بالسيارة مسرعًا .. بدأ حديث بيننا، حيث بادر الرجل بتعارف بسيط، ثم سألني :

- أنت شاب لطيف وفي مقتبل العمر، المستقبل كبير أمامك، لماذا لا تسعى لعمل أفضل يحقق أحلامك ؟

وأضاف :

- إنك تهدر طاقاتك في عمل مضمّن وأرباحه قليلة، ناهيك عن خطورته، فحالات سرقة السيارات ازدادت هذه الأيام .

بعضهم لا يكتفي بسرقة السيارة بل يقتل صاحبها خشية التعرف عليه .

كلماته زادت من مخاوفي، وجعلتني أقود السيارة بقلق أكبر، خاصة أننا كنا نسير في طريق خالٍ إلا من بعض سيارات الحمل المحملة بالأسماك القادمة من الفاو .

قبيل وصولنا إلى مركز الناحية، طلب مني الرجل أن أدخل أحد الشوارع الترابية .

فكرت في نفسي : لعل منزله هنا .

دخلت الشارع وجلاً، ولم أر أي شيء يتحرك سوى سيارتي، المكان بدا موحشاً، لا يصلح للسكن، ولا توجد فيه مباني أو أعمدة كهرباء .

فجأة، وجدنا أنفسنا أمام أربعة رجال ملثمين، يحملون أسلحة ويطلبون منا التوقف في مكاننا وعدم الاقتراب .

ظننتهم قطاع طرق، وبدأت أنطق الشهادة مرات ومرات، ارتعدت من الخوف .. لكن الرجل الذي استأجرني قال لي :

- قف مكانك، هؤلاء لن يسمحوا لك بالعبور!

سألته بذهول :

- ومن هؤلاء ؟

أجاب :

- هؤلاء أفراد من إحدى العشائر، وهم في نزاع مع عشيرة أخرى، لذلك يحرسون منطقتهم تحسباً لأي هجوم محتمل .

تنفست الصعداء وابتسمت، قائلاً له : بصراحة، ظننتهم قطاع طرق، وظننتك أحد السماسرة الذين يعملون معهم .لقد أزعجتني حقاً!.

سمح لنا الرجال المسلحون بالمرور بعد أن تعرفوا على الرجل، ودخلنا في متعرجات ودروب ضيقة .

لاح لنا ضوء بيت قريب، وعندما اقتربنا، اكتشفت أنها قرية شبه منسية .

تساءلت في نفسي :

- ماذا سيفعل الرجل بالحقيبة المليئة بالمخدرات؟ هل هناك من ينتظره؟

وصلنا إلى أحد البيوت، وطلب مني الرجل التوقف، شاهدتهم بمساعدة مصابيح السيارة وهم متجمعون، رجالاً ونساءً وأطفالاً .

ترجل الرجل من السيارة، صافح بعضهم، وطلب مني أن أفتح الصندوق الخلفي لأنزل الحقيبة والأكياس .

أعطاني أجرتي وزاد عليها قليلاً .

فجأة، تجمع حوله الأطفال والنساء .

غادرت المكان على عجل، ولم يعد لمخاوفي أي مبرر .

وعلى طول طريق العودة، رحت ألعن المخدرات وأكرر لنفسني :
إن بعض الظن إثم ..

كعادتِي، لا أحب السير مسرعًا طوال فترة عملي كسائق سيارة
أجرة، لم أتجاوز سرعة الستين كيلومترًا في الساعة.

أحيانًا أتسبب في عرقلة السير، ولكنني أفضل القيادة بأمان على
الاندفاع في شوارع المدينة، يبدو أن الجميع في سباقٍ دائم، غير
مبالين بالإشارات المرورية، كأنما عجلة الحياة تسابقهم .

في صباح أحد الأيام، بينما كنت أقود كالمعتاد، لاحظت في
مرآتي الجانبية سائقًا يبدو أنه لا يحتمل بطئي .

كان يحاول اجتيازي مرارًا، يومض بمصابيحه ويزمر بلا
هواة، مطالبًا إياي بالتنحي .

لم يكن الطريق يسمح لي بالإفساح له، فالشارع كان ضيقًا
ومزدحمًا، لم أملك الوقت الكافي للاستجابة .

وفي لحظةٍ واحدة، انطلق بسرعة جنونية متجاوزًا على
الرصيف، مخلّفًا سحبًا من الغبار، وأسمعني كلمات جارحة لا
تليق .

رأيت في مؤخرة سيارته ملصقًا يحمل كلماتٍ عن الاحترام، لكن
سلوكه كان أبعد ما يكون عنه .

قلت في نفسي :

- روح الله يسامحك، لو أن كل كلب عوى ألقمته حجراً لأصبح مثقال الصخر بدينار .

أكملت طريقي وأنا أستمع إلى أنغام (رسائل جلال الدين الرومي إلى شمس الدين التبريزي) بصوت فارسي شجي، كانت الألحان تملأ روحي بالسكينة .

فجأة، رأيت ازدحاماً شديداً في الطريق، توقفت على جانب الشارع، ونزلت لأستطلع ما يحدث .

كان هناك حادث سير، تبعته مشاجرة بين السائقين، حاولت مع مجموعة من السائقين والمارة، أن نصلح بينهم، لحسن الحظ، الأضرار كانت بسيطة، مصابيح مكسورة، وثقب في راديو السيارة، وتخسفات طفيفة في الهيكل الأمامي .

بعدها هدأت الأجواء، عرضت سحب السيارة المتضررة إلى المنطقة الصناعية كمساعدة دون مقابل، كانت تلك طريقتي في التعويض عن الضوضاء والصراعات اليومية.

عند وصولنا إلى الورشة، وأثناء دفع السيارة إلى الداخل، لامست يدي ملصقاً على السيارة، كان هو نفس الملصق الذي رأيته في ذلك الصباح، عندما اجتازني السائق المعتوه... ابتسمت دون أن

شيري فلاوين.....CHERY FULWIN

أخبره، فالله سبقني بالقصاص، لم أندم على مساعدتي له، ففي
النهاية ليس من الحكمة أن أعض كلبًا عضني .

قطيعة

في مساء يوم شتوي كانت الساعة تقترب من العاشرة، وقد استعديت للخروج للعمل كسائق أجرة، أرتديت معطفي الثقيل ووضعت قبعة على رأسي، ثم انطلقت في سيارتي، أتجول في الشوارع المألوفة، كانت المدينة في تلك الأوقات هادئة، والأضواء تتلألأ في الشوارع مثل نجوم بعيدة .

بعد مرور فترة، توقفت عند إحدى اماكن الانتظار في العشار مقابل مرقد (عبد الله بن علي)، بينما كنت أنتظر الركاب، لاحظت رجلاً عجوزاً يتجه نحو سيارتي، بدا مرهقاً، مشيته بطيئة، ولكن كان هناك شيء يجذبني إليه .

عندما فتح الباب وجلس في المقعد الامامي، ألقيت عليه التحية وسألته عن وجهته .

أجاب بصوت ضعيف :

- إلى شيخ ابراهيم، من فضلك .

بينما كنت أقود السيارة، بدأتنا نتحدث .. سألته عن حاله وعائلته، ابتسم وهو يروي لي عن أبنائه وأحفاده، كان حديثه مليئاً بالذكريات، وعينيّه تلمعان عندما يتحدث عن أيام شبابه، شعرته

قريبًا، كأنه صديق قديم لم أره منذ زمن على الرغم من فارق العمر بيننا .

خلال الطريق، سألني عن المنطقة التي أعيش فيها .

أجبت بكل عفوية :

- أسكن في شيخ ابراهيم، جهة (الطيرزاوية) .

عندما سمع ذلك، نظر إلي بتركيز أكبر وسألني :

- هل تسكن بالقرب من الجسر ؟!.

توقفت لدقيقة، وبدأت أدرك شيئًا غريبًا.

أجبت بدهشة :

- نعم، أنا أسكن في الشارع المجاور لذلك الجسر !

ابتسم الرجل العجوز بلطف، وكأنما استعاد ذكرى قديمة . أعيش في شيخ ابراهيم منذ خمسة عشر عامًا .. يبدو أننا جيران دون أن نعرف بعضنا .

تملكننا الصمت للحظات، وكانت الكلمات تتردد في ذهني . كيف أمكنني العيش بجواره طوال هذه السنوات دون أن أتعرف عليه؟ كم من المشاعر والأحداث مرت بجوارنا، ونحن غرباء عن بعضنا البعض ؟

عندما وصلنا إلى وجهته، أوقفته أمام البيت الذي كان يقطنه ..
قبل أن يغادر، نظر إلي وقال :

أحيانًا تكون القطيعة غير متعمدة، ولكن الحياة قصيرة جدًا لتبقى
هكذا، لنحاول أن نكون جيرانًا فعليين، بدلًا من أن نكون غرباء .
شعرت بكلمات الرجل تتغلغل في داخلي، وأجبت بابتسامة
عريضة :

- سأحرص على ذلك .

ودعته وانطلقت في طريقي، ولكنني أدركت أنني لن أنسى ذلك
المشوار .. مشوار اسميته بالقطيعة، الذي أعاد لي جارا كنت
أعيش بجواره دون أن أدرك ذلك .

ليلة أمس لم تكن في خططي رحلة إلى قضاء الفاو .كان خزان السيارة شبه فارغ، وأعلم جيدًا أن الوقود لن يكفي، لكن جاري أبو تحسين أصر على الذهاب .. والدته تحتضر، وهو بحاجة للوصول إليها .

في البداية ترددت، لكن عندما عرض عليّ مبلغًا مغريًا، لم أستطع الرفض .. كنت بحاجة إلى المال، فاتكلت على الله وتوجهنا نحو الفاو .

كانت الساعة الثانية بعد منتصف الليل، والطريق موحش خالٍ تقريبًا من السيارات، مظلم وعامر بالمطبات التي تشكل خطرًا على أي سائق، خاصة وأنه طريق بممر واحد طويل، لم يكن أمامي سوى مراقبة عداد الوقود بقلق، وأنا أدعو الله أن يكفيني حتى نصل .

عندما وصلنا إلى منتصف الطريق، عند منطقة السيبة، اشتعل ضوء الوقود الأحمر معلنًا نفاذه .

رغم القلق الشديد، استمررت في القيادة ببطء على أمل أن نجد محطة وقود، ولكن السيارة توقفت تمامًا بعد أن قطعنا بضعة كيلومترات أخرى .

غرق جاري أبو تحسين في غضب عارم .كان يسحب دخان سيجارته بنهم ويرميه بغضب .. مرّ الوقت بطيئاً حتى لمحنا ضوء سيارة من بعيد .. أشعلت إطاراً كان مرمياً على جانب الطريق لألفت انتباه السائق، توقف الرجل وسأل إن كان يستطيع مساعدتنا ؟

- نحتاج بضعة لترات من البنزين، قلت له :

لكنه أجاب :

- سيارتي تعمل بالديزل، لا أستطيع مساعدتك في هذا .. ثم أضاف :

- هل أستطيع مساعدتكم بشيء آخر ؟

فطلبت منه أن يوصل جاري إلى والدته المريضة .

وافق الرجل وذهب أبو تحسين معه، تاركاً إياي وحدي في السيارة .

مع كل دقيقة تمر، كان الخوف يتزايد في قلبي، تخيلت أصواتاً مرعبة من حولي، وشعرت بالوحدة والعزلة على هذا الطريق المظلم .

بعد فترة، ظهرت سيارة أخرى في الأفق، وقفت في منتصف الطريق لأجبر السائق على التوقف .. عندما شرحت له الموقف،

أبدى استعداداه لمساعدتي، لكن لم يكن لدينا أنبوب لسحب الوقود من سيارته كان على وشك المغادرة، لكنني طلبت منه أن يقطر سيارتي معه مقابل ثلثي المبلغ الذي وعدني به أبو تحسين، لم يكن لدي خيار آخر، فوافقت .

وصلنا إلى بوابة الفاو، وهناك سحبني إلى محطة وقود قريبة، زودت سيارتي بما تبقى من نقودي، وبعدها توجهت نحو البيت .. وصلت إلى المنزل خالي اليدين، أدركت أن الطمع قادني إلى طريق خاسر .

خطر ماحق

(أن تقود سيارتك في شوارع البصرة، فهذا يعني أن لك قلبًا كبيرًا يتسع لشتى الحماقات) .

الحصول على لقمة العيش لم يكن يومًا أمرًا يسيّرًا، خاصة لمن يعمل سائق سيارة أجرة في مدينة تعج بالفوضى مثل البصرة .. لا البرد القارس في الشتاء، ولا الحرارة الملتهبة في الصيف، يستطيعان إيقاف هؤلاء السائقين عن سعيهم الدؤوب .

في ظهيرة يوم صيفي شديد الحرارة، نسي أحد الركاب علبة صغيرة في كيس بلاستيكي أسود على (دشبورد) السيارة، قبل أن ينزل في إحدى مناطق البصرة، لم أكرث كثيرًا، وانطلقت نحو وجهتي التالية، حيث ركبت معي سيدة عجوز، طلبت مني التوجه بها إلى مستشفى الصدر التعليمي لإجراء بعض الفحوصات الطبية .

الزحام كان خانقًا، وخاصة عند طوابير نقاط التفتيش التي تمتد عبر (شارع الوفود) .. توقفت كغيري من السيارات بانتظار دوري، إلا أن ما أزعني كان نظرات أفراد نقطة التفتيش المريبة، عيونهم كانت معلقة على جهاز السونار الذي أشار

مباشرة نحو سيارتي، اقترب مني أحدهم، طالبًا مني أن أتحرك إلى ناصية قريبة ليفحصوا السيارة بدقة أكبر، زاد اضطرابي حين رأيت أفراد النقطة يتخذون مواقعهم حولي، أسلحتهم جاهزة لأي طارئ .

فتحت لهم الصندوق الخلفي وأبواب السيارة، وكلهم في حالة من التركيز والاستعداد، لكنهم لم يعثروا على شيء مشبوه .. بعدها طلبوا مني أوراق التوثيق واقتادوني إلى غرفة قريبة، كانت العجوز قد نزلت من السيارة وتبعني بخطى متثاقلة .

فجأة، اهتز المكان بصوت انفجار مدمر قادم من سيارتي، هرع الجميع نحوها، قلوبهم مليئة بالخوف والتوقعات الأسوأ .. وعندما اقتربوا لم يجدوا سوى بقايا علبة عطر قد تشظت وملاّت المكان برائحة النفاذة .

رغم الضرر الذي أحدثته في سيارتي، لم أتمالك نفسي من الضحك، رحت ألعن حظي العاثر والسونار الغبي الذي أثار كل هذا الذعر بلا سبب .

حظ كالحجر

مشوار رقم ٦

كنتُ مبتهجاً بال عشرة آلاف دينار التي كسبتها صباح اليوم، وأنا في طريقي إلى الزبير، تفاؤلي تضاعف حين عدت إلى العشار بنفس المبلغ رغم بساطته، إلا أنني كنت بحاجة ماسة إليه لتعبئة خزان الوقود وشراء بعض السلع المنزلية.

وقفت في طابور سيارات الأجرة في العشار، وكلي أمل بأن يتحسن حظي قريباً .. صديقي عرض عليّ خاتماً للبيع، وكنت قد استعرتة للتجربة لثلاثة أيام، على أمل أن يجلب لي الحظ الجيد بعد فترةٍ صعبة في عمل التاكسي .

دقائق معدودة مرت، وإذا برجل المرور يضرب على بدن السيارة بقوة، طالباً مني، بلهجة صارمة، الأوراق الثبوتية ورخصة القيادة .. سلّمته الأوراق متردداً، وسألته بانزعاج:

- ماذا هناك ؟

كان أسلوبه قاسياً، مما زاد من استيائي .

قال بحدة :

- اتبعني إلى الكرفان .

مشيتُ خلفه ومعى عدد من السائقين الذين كانوا متوقفين بجانبى،
وصلنا إلى الكرفان حيث كان ضابط المفزة جالساً بارتياح في
برودة المكيف بسرعة، قرر فرض مخالفة مرورية علينا جميعاً،
مقدارها عشرون ألف دينار لكل واحدٍ منا، بتهمة الوقوف في
مكان غير مخصص، رغم عدم وجود أي علامة مرورية تشير
إلى ذلك .

استلمتُ وصل المخالفة، وقلبي يغرق في بحر من الخيبة .(يا
فرحة ما دامت!)، قلت لنفسي .

على الفور، اتصلت بصديقي صاحب الخاتم، وطلبت منه أن يُعيد
خاتمهُ، ويكفيني شره وشر حظه الثقيل .

كان عائداً من بغداد، يحمل بيده حقيبة دبلوماسية، وبالأخرى حقيبة سفر، استأجرني من أمام باب الكراج الموحد إلى ميناء أم قصر، حملت حقيبة سفره ووضعتها في صندوق السيارة، بينما ظل مستأجري ممسكاً بالأخرى، حتى إنه وضعها بين قدميه وجلس على المقعد الأمامي وقال :

- توكل على الله .

انطلقت مسرعاً نحو الميناء، الذي يبعد حوالي ٨٠ كيلومتراً، وبين نقطة وطرفة، مضى بنا الوقت سريعاً.. ومن أحاديثه تبين لي أنه يعمل تاجراً وله شركات في بغداد وأربيل، لكن شيئاً ما جعله يتوقف عن الحديث في التجارة فجأة، هل توجس خيفة مني؟

بدأ يتحدث عن سفراته السياحية، وعلاقاته العاطفية، وكيف يقضي يومه بين الجميلات في الملاهي والبارات . تمنيت في تلك اللحظة لو أرافقه يوماً واحداً في حياتي، لأشعر بذلك الإحساس الذي يتحدث عنه، خاصة أنه يعيش خيلاً واسعاً، وأنا أهيم في خيالاتي معه .

وصلنا إلى الميناء، نزل وأخذ معه حقيبته الدبلوماسية، تاركاً الأخرى .. بقيت بانتظاره لنكمل مشاويره التي اتفقنا عليها، لم

يمض وقت طويل حتى عاد طالبًا مني أن أوصله إلى (منفذ الشلامجة الحدودي)، الذي يبعد هو الآخر حوالي مئة كيلومتر .

في طريق العودة، توقفنا عند أحد المطاعم، وبعد أن تناولنا وجبة الغداء التي أصر على دفع ثمنها، أكملنا طريقنا إلى المكان المقصود .. دخل المنفذ وخرج يحمل معه أوراقًا وأصابير، وضعها في الصندوق وطلب مني إعادته إلى الكراج الموحد، لغرض العودة إلى بغداد .

حين وصلنا الكراج، فتح حقيبته الدبلوماسية، ووجدت أنها ممتلئة بالنقود الأجنبية، كنت أصدق فيها مستغربًا من ضخامة المبلغ !... أخرج ورقة منها وقال :

- هذه أجرتك .

أخذتها، ولم أستطع حتى أن أقول له مجاملة (خليها علينا)؛ فلي مع هذه العبارة درس سابق تعلمت منه الكثير!

شكرته كثيرًا ووضعتها في محفظتي، ونزلت معه الكراج حاملاً حقائبه وأصابيره إلى السيارة التي استأجرها، وودعته راجيًا له السلامة .

كنت فرحًا بالثمن الذي أعطاني إياه، فهو أكثر بكثير من أجرتي الحقيقية .

و في طريق العودة، كنت أتسحس محفظتي بين الفينة والأخرى توقفت عند محل لبيع الفواكه والخضار لأشتري ضعف ما كنت أشتريه في كل مرة، سأكون أكثر كرمًا من المرات السابقة، تسوقت ما قيمته ٢٣ ألفًا، وقلت لصاحب المحل مازحًا :

- نحن لا نتعامل بالدينار، نحن تجار نتعامل بالدولار، خذ هذه الورقة واستقطع منها الثمن .

أعطيته الورقة النقدية، فضحك كثيرًا وقال :

- هذه الورقة لا تساوي ربع المبلغ الذي تسوقته !

أجبت مستغربًا :

- لماذا ؟

قال :

- نعم، فهذه فئة واحد دولار وليست مئة دولار !

أدركت حينها أنني كنت ضحية لمقلب محكم، لكنني لم أستطع إلا أن أضحك على نفسي، فقد تعلمت درسًا في الحياة قد لا يُنسى .

بلياتشو

في نهار (تموزي) حار، كنت عائداً إلى بيتي بعد انقضاء صباح شاق، كانت ساعتني تشير إلى الثانية ظهراً، وأشعة الشمس عامودية (تحرق رأس الأقرع) وحرارتها قاربت نصف درجة الغليان، بدن السيارة يحرق كف من يلامسه، أما داخلها فكان أشبه بحمام ساونا، ولسوء حظي كان تبريد السيارة عاطلاً، ولا أملك ما يكفي لإصلاحه .. مرتبي الشهري يتسامى بين فواتير (الإنترنت، الماء، المولد، وبطاقات شحن الهاتف...) قائمة طويلة لا يمكن إحصاؤها

عدت إلى منزلي ودعوت الله أن يكفيني شر الازدحامات، وبعد أن قطعت مسافة قليلة، أشارت لي فتاة جميلة، أنيقة المظهر، وبيضاء البشرة، فتوقفت .

سألتني :

- تبريد سيارتك يعمل ؟

أجبتها :

- نعم، بكل تأكيد، كذبة كنت أعتقد أنها بيضاء .

طلبت مني أن أوصلها إلى جامعة البصرة، يبدو أنها موظفة أو طالبة دراسات مسائية، صعدت السيارة بعد أن اتفقت معي على ثمن الأجرة على أمل الانتعاش ببرودة تبدد حر صيف البصرة اللاهب، ضغطت على زر التبريد الذي لا يعمل فيه سوى مروحة الهواء .

توجهت مسرعاً نحو الجامعة، عين على الشارع وأخرى على المرأة، أفتش ملامح مستأجرتي وأترقب ردة فعلها . لم يمض وقت طويل حتى بدأت ملامحها تتغير، وصارت تنظر لي بشزر واشمئزاز شديدين .

بدأ (الميك أب) على وجهها ينساب، وأخذ لونها بالإزرقاق

قالت :

- أخي، هذا تبريدك موشي، ما تطفئ وتنزل الجام، خلي نشم
رحمة الله !

قلت لها :

- الجو حار جداً، والتبريد لا يساعد على تلطيفه .

أعطيتها علبة المناديل الورقية، بدأت تمسح وجهها فزاد الطين بلة، ألوان غير معهودة لوجه آدمي، تذكّرني بوجه بلياتشو .

وصلنا إلى الجامعة، طلبت مني التوقف بعيداً عن بوابتها، رمت لي الأجرة وهي تهذي غاضبة بكلمات أذكر منها :

(الله لا ينطيك شسويت بيه، لعبت بخلقتي جولة!) .

وما إن وضعت قدميها على الأرض حتى أخرجت من حقيبتها امرأة صغيرة ونظرت فيها، بعدها ركضت نحو سيارة أجرة ثانية، تاركة الدوام، بعد أن أصبح وجهها مثل وجه بلياتشو .

جلست في السيارة، أشعر بتأنيب الضمير . تمنيت لو كان لدي ما يكفي لإصلاح التبريد، لكنني أدركت أن ضغوط الحياة جعلتني أخبر تلك الكذبة . لم أكن أريد أن أكون سبباً في تحول فتاة جميلة إلى (بلياتشو) في يوم صيفي حار .

بعد لحظات، قررت أن أسعى لتحسين حياتي، وأتجنب المزيد من الكذبات، حتى وإن كانت صغيرة .

ورطة

كانت الساعة تقترب من العاشرة مساءً عندما تأخرت في منطقة العشار، وكان عطلٌ مفاجئ في أحد إطارات سيارتي قد أخرني، وبعد أن أنهيت إصلاحه، قررت العودة إلى المنزل، في طريقي، لفتت نظري امرأة في الأربعين من عمرها تقف على رصيف شارع الاستقلال، تسألني عن أجرتي إلى قضاء أبي الخصيب، منطقة الأسمدة .

(بما يرضيك)، أجبته، ولم أكن أرغب في التفكير في الأجرة، فهي كانت على نفس الطريق الذي سأسلكه إلى منزلي، لذا قررت أن أقبل بأي ثمن .

- خمسة آلاف، قالت .

- (حسناً)، أجبنا .

صعدت إلى السيارة، بدت عليها علامات الاستغراب وكأنها غير واثقة من المبلغ الزهيد الذي اتفقنا عليه، ربما اعتقدت أنني وافقت على المبلغ لسبب ما .

بدأت القيادة عبر شارع الوفود، متجهاً إلى الطريق الخارجي (ساحة سعد - فالو) .. في هذا الشارع، لن يستغرق الوصول إلى منزلها أكثر من ربع ساعة، خصوصاً في هذا الوقت المتأخر،

على عكس الطريق الوسطي الملتوي الذي قد يستغرق ساعة كاملة، لكن الأمور لم تسر كما كنت أتوقع .

بعد دقائق قليلة من القيادة، صرخت المرأة فجأة :

- (نزلني هنا ! لا أريد أن أذبح روحي معك، حقيِر جبان، تريد تخطفني، هذا مو نفسه الطريق اللي نروح بي كل مرة، وين موديني؟) ..

لم تكتف بهذا، بل أخرجت هاتفها النقال واتصلت بأحدهم لتخبره بأنها تتعرض للاختطاف .

في تلك اللحظة، قررت التوقف، حاولت تهدئتها، وأخبرتها بأنني أريد التحدث مع الشخص الذي تتصل به، لكنها رفضت .

أمسكت الهاتف وأخبرته بما يجري :

- لا تقلق، هذه المرأة أمانة في عنقي وهي أختي، سأوصلها لكم سالمة بإذن الله، لم أسلك هذا الطريق إلا من أجل السرعة ...

تفهم الرجل موقعي، حيث تبين لي أنه سائق مثلي .

عدت إلى القيادة بحذر، لكن الخوف والقلق كانا لا يزالان مسيطرين على مستأجرتي، حاولت شرح موقعي، لكنها كانت تبكي، ومرت الدقائق وكأنها ساعات .

أخيراً، وصلنا إلى منزلها، لكن ما إن توقفت السيارة، حتى وجدت مجموعة من الشباب يطوقون السيارة .

نزلت مستأجرتي، وكان الجميع يقبلها ويتحمد لها السلامة، بينما كنت أنا الخائف الوحيد بينهم .

سألوها إن كانت قد تعرضت للتحرش أو لأي أمر آخر، فقالت : لا ...

اعتذر لي أحدهم عما حصل، وطلب مني أن أتقبل هذا الأمر قبلت الاعتذار بابتسامة لطيفة، ثم ابتسم الجميع .

ذهبت بالخمسـة آلاف، ولا زلت أحتفظ بها للذكرى، كتذكـار لتلك الورطة التي مررت بها، ولحظة الفرع التي عشتها، وكيف تحولت إلى ضحكة أخيرة في النهاية .

تصادم مع الواقع

مشوار رقم ١٠

كل صباح، أبدأ يومي خلف مقود التاكسي، أدور في شوارع المدينة بحثاً عن رزقي، كل يوم أشعر كأني في سباق مع الزمن، أسابق مصاريف البيت، وفواتير الكهرباء، وطلبات المدرسة، العمل في هذه المهنة ليس سهلاً، لكنني أعيش بالحلال، وهذا ما يريحني في نهاية اليوم .

اليوم كان مختلفاً، لم تكن الطرق كما اعتدتها، لا أدري إن كان السبب هو ضغوط الحياة التي بدأت تتراكم فوق رأسي أم أنني بدأت أفقد التركيز.

أنتقل من شارع إلى آخر، أراقب الزبائن يدخلون ويخرجون، لكن ذهني لم يكن هنا، كان مع أطفال في البيت، مع تلك الفواتير المتأخرة، ومع اختي التي تنتظر مني حقيبة المدرسة التي وعدتها بها منذ أسابيع .

كنت غارقاً في أفكاري لدرجة أنني لم ألاحظ كيف أن السيارة بدأت تنحرف قليلاً عن مسارها لحظة، مجرد لحظة من السرحان، ثم سمعت صوت التصادم، كان الصوت قوياً، وكأن الدنيا توقفت فجأة فتحت عيني لأجد نفسي وسط الفوضى، الزجاج الأمامي تشقق، والسيارة توقفت بعنف، بينما أمامي كانت سيارة أخرى، محطمة تقريباً .

خرجت من السيارة وأنا في حالة ذهول. قلبي كان ينبض بسرعة، أحاول استيعاب ما حدث، السائق الآخر خرج من سيارته، غاضباً بشكل لا يوصف، كان يصرخ ويشتم، لكنني لم أكن أستطيع الرد، شعرت وكأن الصوت يأتي من بعيد، بينما عقلي لا يزال يحاول فهم ما جرى .

كيف حدث هذا ؟، كنت فقط أفكر في لقمة عيشي، في كل تلك الالتزامات التي تحاصرني، كيف انتهى بي الأمر هنا؟، أصبحت الآن أمام كارثة جديدة، سيارتي التي أعتمد عليها في كسب الرزق تحطمت، وربما لن أتمكن من إصلاحها قريباً .

الناس تجمعوا حولنا، الشرطة وصلت بسرعة، لكنني لم أستطع التركيز على ما يجري. جلست على الرصيف بجانب السيارة، ويدي على رأسي. ماذا سأفعل الآن؟ لم تكن هذه مجرد حادثة سيارة، بل كانت صدمة أكبر بكثير.. صدمة بأنني قد أكون خسرت الشيء الوحيد الذي أعيل به أسرتي .

نظرت إلى السماء، الشمس كانت تختبئ خلف الغيوم، وكأنها لا تريد أن ترى ما حدث، شعرت بثقل كبير في صدري، لكن رغم كل ذلك، كان هناك صوت صغير في داخلي يقول :

- ما زال هناك أمل، هذه ليست النهاية ..

بصراوي

مشوار رقم ١١

في إحدى الليالي، بينما كنت عائداً من سفوان، استأجرتني عائلة كردية كانت متوجهة إلى مجلس عزاء أحد أقربائهم، طوال المسافة كانت المشاعر الحزينة ترافقهم، كانوا يتأففون على حال الشوارع، تلك التي غمرتها الحفر والمطبات، والأرصفة المهشمة، وأعمدة الكهرباء المائلة وكأنها على وشك السقوط .

تساءلت بصوت مرتفع :

- كيف لكم أن تعيشوا وسط هذا الخراب والدمار؟ مدينتكم منكوبة وكأنها خارجة من حرب للتو، ألا تنتفضون ؟

كان من الصعب أن أجد إجابة مناسبة، فكل ما استطعت فعله هو هز رأسي موافقاً، ولكن في طريق العودة، كان السؤال يضح في رأسي، وكأن صدى يتردد في أعماقي :

- لماذا لا تنتفضون ؟

رددت في نفسي :

- لا، ليس فينا من ينتفض، ومدينتنا لا تزال في حرب وصراع دائم، مثل بغير يأكل الشوك وهو يحمل الذهب!

فجأة، لفت انتباهي سيارة (لاند كروزر) متوقفة على جانب الطريق .. بدا أن صاحبها ينتظر من يساعده، توقفت بدون إشارة، كانت هناك شابة مع أمها وطفلتها، ويبدو أن سيارتهم تعطلت بسبب عطل ماء، وعندما اقتربت، شعرت بالتوتر والخوف يسيطر عليهما .

قالت الشابة بصوت مرتجف :

- لقد تعطلت السيارة بعد أن توقفنا اضطراراً لقضاء حاجة طفلتنا.

طمأنتها :

- لا تخافي، سأكون عوناً لكم حتى النهاية .

فتحت غطاء المحرك وحاولت أن أتعرف على العطل .. وعندما نظرت داخل المحرك، اكتشفت أن قابلو التوصيل الرئيسي منفصل .

- سألتهن إن كن قد مررن بمطب حاد أثناء السير ؟

فأجابت :

- نعم، كنت مسرعة ولم انتبه .

أعدت القابلو إلى مكانه وطلبت منها مفتاح التشغيل، وفي الحال، عاد المحرك للعمل .

فرحت الشابة كثيراً، بينما أخرجت الأم ورقة نقدية فئة ١٠٠ دولار وقدمتها لي هدية .. لكنني رفضت بوضوح، قائلاً :

- ليس من الرجولة أن يستغل إنسان ضائقة إنسان آخر لتحقيق ما يسعى إليه .

استحلفتني بالله ألا أرفضها، فرددت :

- خالة، الدنيا بعدها بخير، اليوم أنا كفلتك وساعدتك، وغداً قد أكون أنا في موقف مشابه، وراح يوقف لي فاعل خير، هاي هي الدنيا، الكل على الكل والكل على الله .

بعد ذلك، توكلت على الله وسرت خلفهم حتى وصلوا إلى بيتهم في كوت الحجاج .. عندما نزلوا، شكرتني السيدة كثيراً واستحلفتني أن أقبل منها هدية .

سألتها :

- وما هذه الهدية ؟

أجابت :

- الكتاب المقدس .

أهدتني إياه باكية، وهي تقول :

- حفظك الرب من كل سوء .

أخذت هديتها القيمة، وفي داخلي شعرت أن هذا هو أبلغ جواب
للسؤال الذي طرحته العائلة الكردية التي استأجرتني.
في خضم الدمار والخراب، تذكرت أن الخير لا يزال موجوداً،
وأن الأمل قد يأتي من أبسط الأمور .

فاعل خير

مشوار رقم ١٢

كنت أسير في شوارع البصرة، كسائق أجرة يبحث عن راكب، عاقداً العزم على بدء يوم جديد، عملي في النهار يختلف تماماً عن العمل في الليل؛ نهاري مليء بالحركة والمشاهد الجميلة، بينما ليلي كئيب ومرهق .

و في الصباح الباكر، وقفت سيارتي في منطقة العشار، أشم رائحة الأمل في الأجواء .لكن سرعان ما أدركت أن يومي هذا قد لا يكون كما توقعت .

لقد أنفقت آخر ما لدي على وقود السيارة، ولم يبقَ لي حتى ثمن سيجارة أستطيع بها إرواء عطشي .. تجولت في الشوارع، أبحث عن راكب، لكن لم يحالفني الحظ، شعرت بالملل، ووقود سيارتي بدأ ينفد .

قررت التوقف في أحد الأماكن المخصصة لسيارات الأجرة، وهنا لفت نظري امرأة مسنة تقف على جانب الطريق .

توقفت سيارتان أمامها، لكنها لم تتفق معهما على الأجرة، رحت أتساءل في نفسي : ماذا لو كانت هذه المرأة بحاجة إلى المساعدة؟ سأقبل حتى لو أعطتني ثمن علبة سجائر .

انطلقت نحوها مبتسماً، وقلت :

- إلى أين تودين الذهاب يا أماه ؟
أجابتني بصوت هادئ :
- بالقرب من محطة وقود بشار .

اصعدي ..

أسرعت في قيادتي دون أن أتفق معها على الأجرة، فقط لأسمع :
- ولدي، أنا لا أملك سوى الدعاء لمن يوصلني مجاناً، فأنا امرأة
مفلسة وليس لدي من يعينني على متاعب الحياة.
ابتسمت لها وقلت:

- بخدمتك .

أخذت أردد في نفسي : (كلانا في الهوى سوا) .

وما إن وصلنا إلى محطة الوقود، حتى نزلت العجوز، تشكرني
وترفع يديها إلى السماء، تدعو لي بالرزق الكثير والخير الدائم .

شعرت بالطمأنينة تملأ قلبي، وفرحتي كانت لا توصف .

بعد ذلك، عدت للتجوال، وسرعان ما استأجرني شاب في
العشرين من عمره، لفت نظري علبة السجائر بارزة من جيب
بنطاله (الكابوي)، مما أثار فرحتي .

قال :

- ما بك ؟

حكيت له قصة العجوز وكيف ساعدتها .

تأثر بشدة من القصة، وسألني إن كنت أحتاج إلى أي مساعدة .

طلبت منه سيجارة، فأعطاني اللعبة بأكملها .

يا إلهي، ما أكرم هذا الفتى، فكرت في نفسي .

ثم قال :

- إن لي أختًا يعمل مديرا في إحدى الشركات الأهلية، و هم بأمس الحاجة إلى عمال شباب لا تتجاوز أعمارهم الثلاثين. وبسرعة، اتصل بأخيه، وبعد حديث قصير، اتفق معه على تشغيلي بأجر يومي، أكد لي أن مباشرتي بالعمل ستبدأ مطلع الشهر المقبل، وشعرت بالأمل يتجدد في داخلي، تبادلنا أرقام الهواتف، ثم أوصلته إلى المكان الذي يريد .

عندما دفع لي أجرته وأجرة المرأة العجوز، أدركت أن الخير لا يأتي دائما من التوقعات، بل يمكن أن يأتي من أبسط المواقف .

وفي هذا اليوم، كنت فاعل خير، وتعلمت أن العطاء يعود بأشكال مختلفة، وأن القلوب الطيبة دائما ما تجد طريقها .

بين الفوضى والصبر

مشوار رقم ١٣

استيقظت مبكرًا على صوت المنبه، ونظرة التفاؤل تملأ عيني، كان اليوم الأول من العام الدراسي الجديد، يوم انتظرت به فارغ الصبر، مع عودة الطلاب إلى المدارس، كنت أعرف أن دخلي كسائق تكسي سيزداد بشكل ملحوظ. فكرت في الخطوط التي سأبدأ بها اليوم، تلك التي خصصتها لنقل الطلاب بين المدارس والمنازل، رأيت في ذهني صورة مشرقة لأطفال بزيهم المدرسي، مبتسمين ومتحمسين ليومهم الجديد .

ركبت سيارتي ونظفتها بعناية استعدادًا لاستقبال أول ركاب اليوم ... وما إن بدأت يومي حتى امتلأت السيارة بمجموعة من الطلاب، يتحدثون ويضحكون بصخب، في البداية، حاولت التفاعل معهم بابتسامة، لكن سرعان ما أدركت أن الفوضى التي يجلبها الطلاب معهم ستصبح تحديًا كبيرًا .

كلما حاولت التركيز على الطريق أو التفكير في مهامى اليومية، كانت أصوات الطلاب تقطع سلسلة أفكارى، أحدهم كان يغني بصوت عالٍ، والآخر يسرد قصة مضحكة، وثالث يناقش دروسه مع زميله بصوت مرتفع.

حاولت أن أجد في هذه الأصوات شيئًا يريحني، لكن مع مرور الوقت ازداد توترى ... في لحظة هدوء نادرة، تمنيت لو كنت

قادرًا على العودة إلى تلك الصورة المثالية التي رسمتها في الصباح، لكنني سرعان ما أدركت أن جزءًا من عملي الجديد يتطلب الصبر والقدرة على التكيف مع هذا النوع من الفوضى . في النهاية، رغم كل الضجيج والفوضى، كنت أعرف أن نقل هؤلاء الطلاب هو مسؤوليتي، وأنهم يعتمدون علي للوصول إلى مدارسهم بسلام .

عند نهاية اليوم، رغم الإرهاق ابتسمت لنفسي وأنا أجمع أجرة الطلاب، كانت تلك الفوضى جزءًا من الحياة، وحين استلقيت على سريري أخيرًا، فكرت في اليوم التالي وكيف سأوجهه بنفس الحماس، لكن ربما بقليل من الصبر الإضافي .

مشوار رقم ١٤ دوامة المطبات والعودة الفارغة

كل يوم يبدأ كما اليوم الذي قبله، أفتح عيني قبل الفجر بقليل، أسمع صوت المنبه يرن في أذني كأنه يذكرني بأعباء هذا اليوم الطويل، أجز نفسي من السرير، ألقى نظرة على الساعة، إنها الخامسة، نفس الروتين يتكرر، شاي سريع ورغيف خبز قديم، ثم أخرج إلى سيارتي، تلك السيارة التي صارت كأنها جزء من جسدي .

أبدأ يومي في شوارع البصرة المليئة بالمطبات والحفر، وكأنها تنتظرني لتضيف إلى همومي .

أقود سيارتي في الشوارع الضيقة، لا تمر دقائق حتى تصدم السيارة بمطب أو تهوي في حفرة، تتأوه العجلات، ويرتج المقود في يدي، (يا الله متى تنتهي هذه المعاناة) ؟ أقول في داخلي، لكن لا جواب سوى صوت السيارة التي تشكو كما أشكو أنا، أعرف جيداً أن كل ارتطام يعني المزيد من المصاريف، والمزيد من الوقت عند الميكانيكي الذي صار بيته مثل بيتي .

وفي كل يوم، هناك شيء آخر ينتظرني غير الحفر والمطبات ... زوجتي، هي تعلم جيداً أنني وعدتها بالخضار واللحم، ولكن لا أدري كيف أشرح لها أن ما أجمعه خلال اليوم بالكاد يكفي لإصلاح السيارة، اليوم بالذات كنت أشعر بضغط مضاعف، فزوجتي كانت تنتظرني منذ الصباح، تكررت مكالماتها لي :

(لا تنسَ اللحم والخضار، الولد يريد يأكل، واليوم الغداء لازم يكون غير) .

لكن كيف أشتري ما لا أملك ؟ أقضي اليوم أجمع دنائير قليلة هنا وهناك، وفي كل لحظة أشعر أن السيارة قد تنهار في أي لحظة، في المساء، بعد يوم طويل، أجد نفسي متجهاً إلى الميكانيكي مرة أخرى، حيث العجلات بحاجة إلى تغيير، والمحرك يئن من كثرة الاهتزازات،(ها، أبو كريم؟ شنو هاي المرة ؟)، يسألني الميكانيكي بابتسامة وكأنه ينتظرني كل يوم، لا أملك إلا أن أجيبه بتتهيدة طويلة: (السيارة صارت ما تتحمل، لازم أبذل العجلات) .

أعود إلى البيت، الشمس تغيب، والظلام بدأ يسدل ستاره على البصرة، أدخل البيت خالي اليدين، وأرى زوجتي واقفة بانتظاري، وجهها متجهم، عيناها مليئتان باللوم، (وين اللحم والخضار؟)، تسألني بحدة، وكأنني أملك المال وأخبئه، أبتلع مرارتي وأحاول أن أشرح : (السيارة راحت بالمصلح، اللي جنيته اليوم كله راح على التصليح) .

تشتعل الكلمات بيننا تصرخ : (ليمتى نبقى هيچ ؟ ليمتى تظل هاي السيارة تأكلنا ؟ أنت تشتغل طول النهار، وترجع بلا شي، لا بيت نرتاح فيه، ولا حتى أكلة نسد بها جوعنا)!.

لا أجد ما أقول، كل ما في داخلي تعب وإحباط، أكتفي بالصمت، وأجلس في ركني المعتاد، أفكر في يوم غد، وفي الحفر التي

شيري فلاوين.....CHERY FULWIN

تنتظرنني، وفي معركة جديدة مع زوجتي، ولكنني، برغم كل شيء، أواصل ... لأن لا خيار لدي سوى هذه السيارة وهذا الطريق المليء بالعوائق .

دعوة على العشاء

مشوار رقم ١٥

في ذلك اليوم، شعرت بحظي الوفير، لم يفارقني المستأجرون، فما إن يغادر أحدهم حتى يأتي الآخر. جمعت خمسة وستين ألف دينار، وقررت أن أستريح في اليوم التالي، فقد ادخرت خمسين ألفاً، تكفيني لنهاية الشهر الذي لم يتبق منه سوى أيام .. بينما كنت أتمشى في شوارع البصرة، صادفت صديق الطفولة (حسن خماط)، كان لهذا اللقاء نكهة خاصة، فكل ملامحه كانت تذكرني بذكريات الصبا والمراهقة، تبادلنا الأحاديث، وكانت الدموع تلمع في عيوننا من شدة الاشتياق، مر الوقت سريعاً، ولم ننتبه إلا وقد حل الظلام، عرض عليّ (حسن) دعوته للعشاء في مطعم (أبو حسن)، كنت متردداً في البداية بسبب التزامي بالعمل في المساء، لكنه أصرّ بشدة، فوافقت على مضمض .

وصلنا إلى المطعم، واستقبلتنا حفاوة العمال بشكل جعلني أشعر كأني (مراد علم دار)، جلسنا في زاوية هادئة، وطلبنا ما لذ وطاب .. قضينا وقتاً ممتعاً، وأحببت تلك اللحظات الجميلة التي جمعتنا بعد فراق طويل . لكن، بعد انتهاء العشاء، تفاجأت بأن حسن ذهب ليحضر الفاتورة . ثم سمعته يهمس مع مدير الحسابات بصوت خافت، يتأسف ويتأوه .. سألت :

- ما بك ؟

فأجاب :

- لقد نسيت محفظة نقودي في البيت .

تداركت إحراجة بسرعة وقلت له :

- لا عليك، لدي ما يكفي لسد فاتورة العشاء .

سألت صاحب المطعم عن المبلغ المطلوب، فقال مبتسمًا :

- (ثمانية وثلاثون ألفًا) .

صدمت، إذ لم يكن لدي سوى خمسين ألفًا .

ما إن سمعت ذلك حتى شعرت بأن الفرحة التي عشتها مع حسن

قد تلاشت .. دفعت ثمن العشاء، وأنا أردد في نفسي :

- (ساعة السودة الشفتك بيها يا خماط)، في إشارة إلى أن هذه

اللحظات الجميلة قد كلفتني أكثر مما توقعت .

تجربتي مع حسن أعادت لي ذكريات جميلة، لكن في نفس

الوقت، كانت تذكيرًا بأن الحظ قد يرافقنا في كل شيء، حتى في

لحظات العشاء .

في أحد الأيام، بعد يوم عمل طويل وشاق في منطقة العشار، شعرت بتعب شديد بينما كنت أعود إلى منزلي في قضاء أبي الخصيب، كنت أعاني من أزمة مالية خانقة، مما جعلني أدعو الله أن يرزقني بمستأجر يساعدني في تجاوز هذه الظروف الصعبة .

مع وصولي إلى ساحة الطيران، رأيت رجلاً عجوزاً يقف على جانب الطريق، كان شعره الأبيض يعبر عن سنوات طويلة من الكفاح، ووجهه المنهك يحمل آثار الحياة الصعبة، حمدت الله حينما استجاب لدعائي، فقد استأجرني الرجل لنقله إلى منطقة محيلة، وسط الطريق الذي يؤدي إلى منزلي .

اتفقنا على ثمن الأجرة وهو سبعة آلاف دينار خلال الرحلة، بدأنا حديثنا عن الأوضاع الأسوأ في البلاد، تطرقنا إلى التلاعب بنتائج الانتخابات، وأزمة الكهرباء، وشحة الماء، وكل الأمور التي تمس حياتنا اليومية، كانت الأحاديث تتقاذف بيننا وكأننا نتشارك هموماً واحدة .

عندما وصلنا إلى منزل الرجل، أخرج ورقة نقدية من فئة ٢٥ ألف دينار ووضعها على (دشبول) السيارة، نظرت إليه، ثم التفت يميناً ويساراً، فلم أجد دكاناً قريباً أستطيع أن أشتري منه ما يعيد له المبلغ المتبقي، قررت أن أرفض أخذ الأجرة، رغم إصراره

ومحاولاته المتكررة لإقناعي، أعاد الرجل المبلغ إلى محفظته وشكرني على موقفني النبيل قبل أن يغادر .

عدت إلى منزلي يائساً، حزينا، فقد كانت أختي الصغيرة تنتظر مني أن أحضر لها حقيبة جديدة، بدلاً من حقيبتها التالفة، شعرت بثقل المسؤولية على كاهلي، وكنت أدعو الله في قلبي أن يرزقني بما أستطيع به إسعادها .

في ظهيرة اليوم التالي، توجهت إلى والدتي وطلبت منها أن تدعو لي بالرزق والبركة، كانت دعواتها لي دائماً تحمل الأمل، فاستمددت من كلماتها القوة والتفاؤل .

بينما كنت أسير في طريقي إلى العمل، تفاجأت برؤية نفس الرجل العجوز مرة أخرى، وكان واقفاً على جانب الطريق، بانتظاري، استأجرني مجدداً لنفس المكان الذي انطلقنا منه قبل يوم .

عندما صعد إلى السيارة، كان سعيداً بلقائي، وقال :

- لقد استأجرتك يوم أمس، وكانت الأجرة سبعة آلاف، أعلم ؟

أجبتة :

- نعم، أذكر .

ابتسم الرجل وأكمل :

- أشكرك مرة أخرى على ما فعلته معي .

ثم أخرج من محفظته ورقة نقدية جديدة وأعطاني ١٥ ألف دينار شعرت بالامتنان لله، فهذه كانت استجابة واضحة لدعوات والدتي، حمدت الله كثيرًا على هذه اللحظة، وعلى بركة الدعاء، وعلى الكرم الذي جاء ليخفف من همي، تلك كانت لحظة أدركت فيها أن النية الطيبة والمواقف النبيلة يمكن أن تأتي بثمارها في الأوقات الصعبة .

وجدتها

مشوار رقم ١٧

توجهتُ إلى العشار قاصداً مقهى الأدباء، وكانت مشغولاً باتصال هاتفي مع احد الأصدقاء اسهب فيه بالحديث عن الشعر والسياسة، وعندما وصلت بدأتُ أبحث بين السيارات المتوقفة على جانبي الطريق عن مكانٍ لسيارتي، لم أكن قد دخلت الكراج القريب منذ فترة، حيث إن سعر تذكرة الوقوف فيه لا يقل عن ثلاثة آلاف دينار، وهو مبلغ يربك ميزانيتي المتقشفة .

بعد فترة من البحث، وجدت نفسي بعيداً عن المكان المعتاد، حيث كان من الصعب الحصول على فسحة قريبة، حينها كنت مشغولاً باتصال هاتفي مهم، فأغلقت نوافذ السيارة وأكملت حديثي في طريقي إلى المقهى، بمجرد أن جلست بين جموع الحاضرين، سمعتهم يتبادلون أحاديث الدين والسياسة، مثلما يفعل معظم العراقيين .

ثم قرر أحدهم أن نغلق تلك المواضيع التي لم نجني منها سوى صدام الرأس، وأن نتوجه إلى شارع الجزائر (رئة البصرة) وجمالها، وافقناه الرأي، فتكلفتُ بإيصال اثنين منهم بسيارتي إلى هناك .

وصلنا إلى مكان السيارة المعتاد قرب نقابة الصحفيين، لكننا لم نجدها .. اصفرّ وجهي، وبدأ القلق يتسرب إلى قلبي، بدأنا نبحث حول المكان، لكن دون جدوى، لم يكن أمامي سوى تسجيل دعوى (سرقة مركبة) في مركز الشرطة القريب، وبالفعل ذهبنا إلى المركز .

قال لي ضابط الخفر :

- ابني، لا تقلق

تكلم بهدوء

- هل أنت متأكد أنك وضعت سيارتك في ذلك المكان ؟

أجبت بنبرة متوترة :

- نعم .

لكن سؤاله أثار في نفسي الشك، ومرت دقيقة صمت سرحت فيها بخيالي .. كان الجميع ينظرون إليّ بتمعن، وفجأة، تذكرت أنني عندما كنت منشغلاً في الاتصال الهاتفي قبل واثناء نزولي من السيارة، كنت قد ركنتها في مكان آخر غير الذي اعتدت عليه، صحتُ بصوت عالٍ :

- (وجدتها) !

سألني الضابط باستغراب :

- أين ؟

أجبتُ بحماس :

- قرب بريد العشار!

ذهب الضابط معنا إلى المكان المقصود، فوجدنا السيارة في نفس المكان الذي تركتها فيه، سخر الجميع مني حتى أن الضابط قال ضاحكًا :

- (أي عمّي، حقك تضيع سيارتك أشقر وحلو والبنات مدوختك!).

ابتسمت في نفسي، وأدركت أن الأمور قد تسير بشكل غريب أحيانًا .

نظرت إلى زجاج السيارة الأمامي، رأيت ورقة بيضاء ملصقة عليها، ظننتها رسالة تهديد !.

ارتعشت يداي وأنا أحاول قراءة ما فيها، نظر إليّ الضابط بتأمل، فقال مازحًا :

- لا تخف، ربما تكون رسالة غرامية من إحدى المعجبات!

فتحت الورقة ببطء، وإذا بها وصل غرامة بقيمة عشرين ألف دينار عقوبة على وقوفي الخاطئ .

شيري فلاوين.....CHERY FULWIN

ضحكت في نفسي، وقررت أن أتعلم من هذه الحادثة، فالحياة مليئة بالمفاجآت، حتى في أسوأ لحظاتها .

انتظار بلا نهاية

مشوار رقم ١٨

في صباح آخر من أيام العمل المعتادة، كانت المدينة تستيقظ ببطء، ولكن سائق التاكسي) انا (الذي أسميته في داخلي (أبو علي)، كان قد استيقظ منذ الفجر، وقف في الطابور، أراقب ملامحه المنهكة، حاولت الاقتراب من عالمه من خلال بعض احاديث النفس السريعة، ولكن أبو علي كان مشغولاً بأمر آخر، كان يشير بعينه إلى الشارع الفارغ، يبحث عن أي زبون يمكنه أن يوفر له أجرة اليوم، وكأن كل ثانية تمر تسرق منه فرصة .

اليوم لم يكن سهلاً، فالشوارع كانت خالية من الركاب، والسيارات تمر بسرعة، كأن كل واحدة تخطف فرصة مني تاركة وراءها فراغاً وجفافاً لا يملؤه سوى الصبر، على الرصيف، كان يجلس مع بقية السائقين، يشاطرهم الحديث والحسرة في آن واحد. بدأوا يتبادلون القصص عن الأيام التي مرت دون أن يحصلوا على أجرة واحدة، وكيف أن الأمل في الركاب صار كالتضرع لغيمة لا تمطر.

أحياناً يمر اليوم كله دون أن أملاً خزان الوقود أو أشتري خبزاً لعائلتي، قال أبو علي ذلك لي وهو ينفث أنفاسه بصعوبة، استرسل

في الحديث معي عن الأيام الطويلة التي يقضيها بين إشارات المرور وأعينه ترأب المارة الذين لم يعودوا يحتاجون التكري كما كانوا من قبل، (الناس أصبحوا يفضلون السير على الأقدام أو انتظار الحافلات الأرخص، وهذا يزيد من معاناتنا) .

تسرب إليّ أنا الوجه الآخر منه الشعور بثقل المعاناة التي يعيشها كل سائق تكسي .كانت السيارة هي وسيلته للبقاء، لكنه يراها ببطء تتحول إلى عبء ثقيل، تتأكل بمرور الأيام دون مردود يذكر، ومع كل ساعة تمر دون زبون، كان أبو علي يزداد قلقاً، لم تكن المشكلة في الركاب فقط، بل في الغلاء الذي ارتفعت معه أسعار الوقود، وقلّت معه فرص النجاة في هذه المهنة .

بقي أبو علي في مكانه لساعات، يترقب بقلق زبوناً واحداً قد ينقذ يومه ... وأنا في الوجه الآخر أراقبه وعندما وقف أخيراً زبون على الجانب، شعرت كأن الأمل عاد إلى عينيه، ابتسم له ابتسامة منهكة، وابتسمت معه، وكأنه أخيراً وجد ما يستحق الانتظار .

لكنه رغم هذا، لم يستأجره بل فضل سيارة أخرى على سيارته عاد أبو علي مكسوراً، وترك وجهه مطبوعاً في مخيلتي ما زلت أراه كلما استأجرت سائقاً .

زمن التنافس

مشوار رقم ١٩

مع إشراقة الشمس في الصباح، استيقظت على صوت منبه الهاتف، معتادًا على بدء يومي مبكرًا، أرادت ملابسي بسرعة واتجهت إلى سيارتي التي اعتدت عليها منذ سنوات، إنها رفيقتي في هذه المهنة التي أصبحت جزءًا من حياتي، مهنة سائق التاكسي التي ورثتها عن والدي، لكن اليوم، الأمور لم تعد كما كانت .

بالأمس فقط، قضيت نصف اليوم في محاولة العثور على زبائن، بينما لاحظت كيف أن السيارات الحديثة التي تعمل مع التطبيقات الذكية تنتقل بسلاسة في الشوارع، والزبائن يختارونها بمجرد نقرة على هواتفهم، تلك السيارات تبدو دائمًا مشغولة، وركابها دائمًا سعداء بوصولهم بسرعة ودون عناء التفاوض أو الانتظار .

بدأت الأمور تتغير منذ عامين، عندما ظهرت هذه التطبيقات، في البداية، لم أكن قلقًا، ظننت أن الأمر مجرد موضة عابرة، وأن الزبائن سيعودون إليّ كما كانوا دائمًا .

لكن مع مرور الوقت، بدأ الوضع يتدهور، الزبائن الذين كانوا يلوحون لي من الشارع أصبحوا الآن يحدقون في هواتفهم بدلاً من ذلك، كلما رأيت أحدهم، أحاول الاقتراب ولكنهم يكونون قد طلبوا بالفعل سيارة عبر التطبيق، تاركينني خلفهم .

أذكر يومًا كنت متوقفًا في أحد الشوارع المزدهمة، سمعت من خلال المذياع اعلانا لأحدى شركات التاكسي ادهم يقول :
- الحمد لله على هذه التطبيقات، لا حاجة للتفاوض مع السائقين بعد الآن! .

عندها أدركت أن الأمور بدأت تخرج عن السيطرة، التنافس أصبح شرسًا، والدخل الذي كنت أحققه بدأ يتناقص بشكل ملحوظ .

فكرت مليًا في التخلي عن مهنتي، لكن كيف لي أن أترك شيئًا عرفته طوال حياتي ؟ في نفس الوقت، لم أعد أستطيع مواكبة هذا التغير السريع . وجدت نفسي في موقف صعب؛ لم يعد بإمكانني الجلوس وانتظار الحل .

في أحد الأيام، وبينما كنت أتبادل الحديث مع أحد الزملاء في المهنة، أخبرني عن إمكانية الاستفادة من نفس هذه التطبيقات، لم يكن علي أن أكون ضحية لها؛ بل يمكنني أن أستخدمها لصالح مشروعي الخاص، قال لي :

- لم لا تبدأ شركتك الخاصة ؟ لديك خبرة في السوق، ومعارفك لا تقدر بثمن، يمكنك تكوين فريق والعمل عبر تطبيق إلكتروني خاص بك .

في البداية، كان الفكرة تبدو لي كحلم بعيد المنال، لكن مع مرور الأيام وتفاقم الأزمة، بدأت أقنع بأن هذه هي الطريق الوحيد

للمضي قدماً، بدأت أدرس الخطوة بجدية، والتقيت ببعض الأصدقاء الذين يعملون في مجال البرمجة، كانوا على استعداد لمساعدتي في بناء تطبيق بسيط يمكنني من خلاله إدارة عملي الخاص .

اليوم، بدأت الفكرة تتبلور، بدأت أتواصل مع زملاء قدامى في المهنة، واقتрحت عليهم الانضمام إلى مشروع جديد، البعض تحمس للفكرة، والبعض الآخر كان متردداً، لكنني كنت مصمماً، لم أعد أرى في التطبيقات الإلكترونية عدواً، بل فرصة جديدة للنهوض من جديد .

في النهاية، لم يكن الأمر سهلاً، لكن التحول من سائق تاكسي تقليدي إلى مالك لشركة نقل خاصة قد يكون الخطوة التي تنقذني من هذا المأزق، إنها منافسة شديدة، لكنني قررت أن أكون جزءاً منها، وليس خارجها .

اليوميات لم تنتهِ بعد، لكنني أملك الآن بصيص أمل لمستقبل أفضل.

رحلة إلى المجهول

مشوار رقم ٢٠

بعد يوم شاق وطويل كانت السيارة تنتقل بين الشوارع شبه الفارغة، وأنا أشعر بالتعب والإرهاق، كانت الساعة تتجاوز منتصف الليل، وأضواء المدينة تتلألأ من بعيد، كنت أفكر في العودة إلى المنزل والاسترخاء .

بينما كنت أقود السيارة متجها الى البيت، رأيت رجلاً يقف على الرصيف، يلوح لي بيده، كان يبدو عليه التعب، وعيناه تحملان بقايا سهرٍ طويل، أبطأت من سرعتي وتوقفت بجانبه فتح الباب وجلس بجواري دون أن يتكلم أو أن يهمس عن وجهته، سألت بينما انطلقت بالسيارة :

- إلى أين تود الذهاب ؟

كانت إجابته غامضة، وكأن الكلمات تكاد تتعثر في حلقه :

- إلى البيت .

حاولت أن أستفسر، لكن رائحة الكحول التي تفوح منه كانت واضحة، وبدأت عليه علامات السكر :

- هل يمكنك أن تخبرني بأي حي تسكن فيه .

- سأخبرك عندما تقترب .

كان صوته غير مستقر، كما لو كان يتحدث إلى نفسه .. قدت السيارة في الشوارع الهادئة، حيث كانت الأضواء تضيء الطريق أمامنا بينما كنت أستمع إلى زفرات تنفّسه الثقيلة بدأت أشعر بقلقي يتسلل إلى داخلي، لا أستطيع أن أتجاهل فكرة أنني أُوصل شخصًا مخمورًا إلى مكان لا أعرفه .

سألت محاولاً فتح حوار :

- هل لديك عائلة ؟

- نعم، لكنهم لا يعرفونني .

كانت إجابته مؤلمة، كأن الكلمات تتسرب من أعماق قلبه، أدركت في تلك اللحظة أنه ليس مجرد زبون مخمور، بل إنسان يحمل عبئًا ثَقِيلًا

سألته بلطف :

- ما الذي يجعلك في هذا الوضع ؟

- حياتي تتداعى، كل شيء ينهار من حولي .

كانت كلماته تنبض بالألم، وكنت أشعر بمعاناته تتجسد في صوته .

استمررت في القيادة، محاولاً التفكير في كيفية مساعدته

- هل يمكنك أن تخبرني عن مكان ما تعرفه ؟

- تجاوزنا مناطق مألوفة، لكن كان يبدو أنه بعيد عن الواقع .
- لا، أنا ...لا أستطيع تذكر أي شيء، قالها ببطء، كأنما يحاول استرجاع ذاكرته المفقودة .
- فجأة بدأ يتململ في مقعده، وعيناه تتسابقان في البحث عن شيء غير موجود .
- (توقف، هنا!) صرخ، وكان صوته عالياً ومليناً بالقلق .
- أين؟ سألت، لكنني لم أستطع معرفة وجهته .
- (لا أدري، فقط أريد أن أنزل)! كانت نبرته تعبر عن توتر شديد .
- وقفت على جانب الطريق، لكنني شعرت بقلق كبير عندما خرج، تعثرت قدماه على الرصيف، وكاد أن يسقط، هرعت لمساعدته .
- هل أنت بخير
- (نعم، اتركني)! صرخ، لكن عينيه كانتا تنظران إليّ كأنه يحتاج إلى المساعدة .
- بينما كان يبتعد عني، أدركت أنني لا أستطيع أن أقدم له شيئاً أكثر مما قدمته ربما كان يحتاج إلى شخص افضل مني يفهمه، أو مكان يشعر فيه بالأمان بينما ابتعد شيئاً فشيئاً، شعرت بحسرة في قلبي، وذكّرني هذه اللحظة بمدى تعقيد الحياة وصراعاتها .

مع تحركه نحو المجهول، شعرت أنني لم أقم فقط بنقل زبون، بل كنت جزءاً من رحلة تأمل في أعماق النفس البشرية ومعاناتها اليومية وعندما عدت إلى الطريق، أدركت أن كل مشوار يحمل قصة، وكل إنسان يخفي حكاية وراء مظهره .